

## حقيقة الاحلام

قال السروليم هملتون (١) : ان الامر الذي يستلزم البحث في قوة الذاكرة هو كيف ننسى لا كيف نتذكر ، اي ان كل مدركات الانسان يجب ان تحفظ في ذاكرته وان نسي شيئاً منها فلنسيانه سبب يحسن البحث عنه . فظن قوله حينئذ من قبيل الوهم او المبالغة ولكن المباحث الجديدة تميل الى تأييده . والظاهر ان الانسان يتناسى في الغالب اكثر مما يتنى اي ان القوة المتحركة او المتصرفه في ذهنه تصرفه عن تذكر الامور النافعه او المسكرة او التي لا علاقة لها باعماله ومطالبه او بما يفكر فيه وهو في حال اليقظة فتراه يصرفها عن ذهنه كلاً تعلقه او تشغل باله ، فاذا انقطع عن العمل ونام وتامت القوة المتحركة اطلق الضات للذهن فيمر على كل المحفوظات التي في دماغه بائتلاف الافكار ، فاذا اتفق انه رأى في نهاره فرساً سقط عن فرسه فقد يتذكر ذلك ليلاً وينبه فيه تذكره الفرس سياحة ساحها منذ سنوات وكان راكباً فرساً ويتذكر حينئذ اكثر مما مر به في تلك السياحة ومنه قرية مرتبها والناس جلوس في حانة ويقوده ائتلاف الافكار الى منظر رآه في مساه حيث كان الناس جلوساً في حانة اخرى يسكرون وخمام شجر بينهم ورجال الشرطة مهرونون للقبض عليهم وهم بملابسهم القديمة المخالفة للملابس الشرطة في هذه الايام . وتنتقل به الذاكرة الى ازياء الملابس ولاسيما ملابس النساء وتغيرها من يوم الى يوم وهلم جرا . وهذا هو الحلم . واذا استيقظ حينئذ فقد يلمس كل ما حلم به وقد لا يتذكر منه الا بعض حوادث سفره او بعض ما رآه من الازياء . وقد يتكرر هذا الحلم كما لو بسنة كثر أو في نهاره . كما ذكره بعض ما فيه وما يقع للانسان وهو دائم ليلاً يتبع له وهو يهجر نهاراً فتنتقل الذاكرة من موضوع كان يفكر فيه الى مواضع اخرى مرتبطة به ولو كانت الرابطة بينها طليقة جداً

قال الفيلسوف برغصن : ان تكاليف الحياة تكاد تحجب عن بصيرتنا ونحن في اليقظة اكثر ما هو محفوظ في ذاكرتنا ذلكا تنظمنا عن الاهتمام بهذه التكاليف

(١) فيسوف اسكتلندي مشهور

واستلنا للنوم عشنا حينئذ في عالم الاحلام عالم الماضي سواء كان النوم طبيعياً او صناعياً . وقد قال البعض ان الاتصال بين اعصاب الحس والحركة يتقطع نوعاً زمن النوم . وسواء صح هذا القول او لم يصح فلا شبهة في ان المجموع العصبي يتمتع فعلة بمدة النوم عمراً كان في اليقظة . ثم ان تنبه الذاكرة في النوم امر مشهور فقد نحسب اننا لسنا بعض الامور ثم نتذكرها تماماً ونحن نيام كأننا لم نعيش في الماضي ونعود الى زمن الصورة وتكلم بلغات لسنا اننا كنا نعرفها . واغرب من ذلك ان الذين يكادون يعرفون غرقاً او اختناقاً ثم ينتعشون يقولون انهم تذكروا في تلك اللحظات القصيرة كل حوادث حياتهم الماضية فرأت امامهم سريفة حسب تواليها في الماضي (١) وقال في مكان آخر ان للذاكرة طبقات اعظمها طبقة تخموي كل تاريخنا الماضي وهي الطبقة التي تحدث الاحلام فيها ، انظر كتابة المادة والذاكرة صفحة ١٢٩

وإذا كان الامر كذلك اي اذا كانت كل حوادث الحياة محفوظة في الدماغ في طبقة مخصوصة منه ، واذا كانت تكاليف الحياة تمنعنا ونحن في اليقظة من تذكر هذه المحفوظات كلها الا ما كان منها مرتبطاً بهذه التكاليف كما قال برغسن او اذا كانت القوة المتحركة تضطرنا الى حصر افكارنا فيما نحن آخذون فيه من اعمالنا واشغالنا اليومية ولا تبيح لنا العودة الى غير ما يتعلق بها الا اذا كلنا واطلقنا العنان للخيال والاهام كما يحدث لساهي والهاجس فلا نحس اذا كنا ونحن نيام وقد انقطعنا عن العمل واستلنا الراحة نعود الى محفوظاتنا الماضية وتعلق بها وتعمل مثل ذلك اذا ضعفت سيطرة القوة المتحركة فينا كما يحدث على اثر مرض جسدي او عقلي

اصيب كاتب هذه السطور منذ بضع وعشرين سنة بالتهويد واشتد المرض عليه وظل حتى اختراجه نسياناً شديداً حتى اننا لم نذكره الا في حياته وتذكر حينئذ كتاباً قرأه في صباه مراراً ولم يحط له ان يستظهره ، اما وهو في شدة هذا المرض فتذكر فصوله وجعل يتلوها فصلاً بعد فصل ليلة بعد اخرى . ومرت به ليل كثيرة وهو يتلو ذلك الكتاب او جانباً كبيراً منه . والآن نسي

(١) Bergson "Matter and Memory" 1913 page 290.

ما تذكره حينئذ من ذلك الكتاب وقصا يتذكر غير سطور قليلة من بعض فصوله . وهذا يدل على ان المعلومات قد تحتفظ كما في الذاكرة ولو تعذر تذكرها وزد على ذلك ان قرة الاستدلال قد تكون والانسان تأم اقرى منها وهو مستيقظ . ولعل سبب ذلك كثرة ما يستلعب تذكره وهو تأم من المقدمات التي يهل منها الاستدلال . وكذلك قرة الاستحضار والابتكار فتراه يقيم الادلة المفصلة اذا كان منطقياً وينظم التعائد العامرة اذا كان شاعراً ويحل المسائل الهندسية العويصة اذا كان رياضياً ويستنتج النتائج الثابتة حتى يكاد يتنبأ تنبؤاً ولذلك قال الاستاذ وليم جيمس الفيلسوف الاميركي « ان عالم الاحلام هو عالمنا الحقيقي ونحن نيام لان العقل يتصرف حينئذ عن العالم المحسوس الى العالم غير المحسوس . والعالم عالمان عالم محسوس ندرکه في اليقظة وعالم غير محسوس ندرکه في النوم » ولعل الاستاذ جيمس متطوّر في هذا الباب . والحقيقة التي لا شبهة فيها ان الانسان قد يتذكر وهو تأم اموراً كثيرة نسيها وهو مستيقظ فيستنتج منها نتائج يجب ان مررتها جارة بالهام والحقيقة عندنا ان كان عالماً بمقدماتها ولكنه نسيها في يقظته

وقد ظهر في اول هذا القرن كتاب للعالم سغمند فروود Sigmund Freud النموي موضوعه تفسير الاحلام Traumbedeutung قال فيه ان كل الحوادث العقلية سواء كانت احلاماً او غيرها هي من افعال العقل . وليس فيها محل للصدقة بل هي نتائج مقدمات سابقة . وعنده انه لا شيء يحدث في العقل صدقة بل كل ما يحدث فيه يكون نتيجة افعال سابقة فيه . وقال الاستاذ بير فيما كتبه عن هذا الكتاب في مجلة الاكتشاف ان بين محترفات الحلم الظاهرة ومحترفات الباطنة فرقاً كبيراً فاقدم عليك زيد ويقول انه حلمت ان زيد اذ زاد عليه راقص منة انما هو انقسم الظاهر من الحلم وهو مؤلف من مراد كانت كالمرة في دماغه مخفية عن الوحدان . وعنده ان كل ما يحلم به الانسان مؤلف من امور مخفية في ذاكرته ترد على ذهنه وحر تأم شيئاً شادياً محدودة مرجعها الى اثنين التذكر المباشر واكتشاف الافكار . فاذا نظرت الى الدواة التي اعلمك وانت تكتب مقالة مثل هذه فرأيت انها من الزجاج فهذه بصورة التي رأيتها قبل مباشر ولكن اذا انتقلت افكارك من الزجاج الى اختصاب عمل الخزانة في الاسكندرية

وكسرم الراح الزجاج الكبيرة ومطردة البوليس لم مشاة وقرساتاً وما شجر  
 بينهم من الخصاص وقتل بعض المعتصمين وقيام الجرثمد على البوليس - فبذه الصور  
 كلها اوردها الدهن باثلاف الافكار من محضرات الذاكرة وكان زجاج السواة  
 محرراً لها . ولو رأيت هذه الدواة قبل حدوث الاعتصاب لشار اليه وتكبير  
 الراح الزجاج ما خطرت لك هذه الخواطر . واذا كنت متبهاً لملكك شديد الانتباه  
 فبذه الخواطر لا تخطر لك لاشتغالك به وان خطرت في عقلك قوة تنبها  
 وتردك الى التفكير فيها تكتب . والحق أننا هنا هذه الصور الآن لعلنا ونحن  
 نكتب هذه السطور اذ كان غرضنا ضرب مثل لان القوة المتحركة منتبهة تصدنا  
 عن الهيام في نياتي الخيال . اما لو كنا نياماً لنامت هذه القوة وانتقلنا من الدواة  
 الى ما لا حدة من الحوادث الثرية على ضعف ما بينها من الروابط

ثم ان المؤثرات الخارجية والداخلية تؤثر في التأم والهاجس فاذا وقع القطع  
 من سابقه فبردت فدهاه حلم انه دخل على قوم حافياً او من غير سراويل فنجعل  
 من ذلك . واذا كان قراشة رثيراً يحمل جسمه من غير ان يتعبه حلم انه عطار . واذا  
 ثقل الطعام على معدته وانخه حلم ان كابوساً ركب على صدره يريد خنقه . واذا  
 كانت يده مرتفعة ثم ارتخت عضلاتها فهبط حلم ان جسمه كله هبط من  
 مكان عال . وهذه المؤثرات كلها تلبه ذهنه الى محضرات كثيرة في ذاكرته  
 باثلاف الافكار او تتولد فيه افكاراً جديدة مما يسهل عليه تصور او استنتاجه  
 وخلاصة ما تقدم ان الاحلام والهواجس نابعة عن محضرات في السماغ ينتبه  
 العقل لها بسبب مؤثر اثرية . ولا فعل من غير فعل ولا اثر من غير مؤثر

هذا ما امكن الوصول اليه بعد البحث تعني في حقيقة الاحلام بنوع عام .  
 ولكن ألا يحتسب ان يكون لبعض الاسباب سبباً آخر كالاتلام الزائدة في  
 كتب الاديان المختلفة التي تدرى اسبابها الى وحي او مكاشفة من الخلق او  
 ملائكتهم او تبيينه . والجواب ان الاسباب التي ذكرها لا تفسد اليقين  
 علي اذا ثبت انها وقعت كما رويت ونحن لا نتوخى في المقتطف الا التعميل العلمي  
 للاحلام كما لا نتوخى الا التحليل العلمي للأمراض الجسدية والنفسية ولكل  
 الحوادث الطبيعية كقوع المطر وحدث البرق والرعد والعاصفة وخصب  
 المزروعات بالحرث والري والسماد